لم يصل الجيش لليطاني.. ونزع سلاح حزب الله لم يعد مهما

جريمة حلوتس المالية صغيرة مقارنة مع الهزيمة في معركة الساعات الاخيرة وعليه ان يرحل

■ يبدو أن أحد الامراض التي أدت الى الحرب هي فقدان التوازن. وإلا فانه يصعب الفهم كيف انحرف البحث الجماهيري في الايام الاخيرة عن الدماء المسفوكة. يبدو وكأن الجمهور معني بالمال الذي ربحه رئيس الاركان (او خسره) حين باع محفظته الاستثمارية، اكثر مما هو معني بـ 33 قتيلا وعشرات الجرحى ممن سقطوا في الجيش الاسرائيلي في الايام الثلاثة العسيرة من القتال قبل اسبوع، قبل لحظة من دخول وقف اطلاق النار حيز التنفيذ.

القضية بدأت يوم الاربعاء قبل عشرة أيام، في ظل المداولات في الامم المتحدة على الاتفاق لوقف النار. وكان الاحساس لدى الجمهور شديدا عقب استمرار نار الكاتيوشا على الشمال وكان للقيادة السياسية والعسكرية ينقص «صورة نصر» مثابة سجل انهاء مثير للانطباع. وفي أعقاب ذلك اتخذ المجلس الوزاري في ذات اليوم قرارا، يسمح للجيش الاسرائيلي بالتقدم حتى الليطاني "لتنظيف المنطقة".

فكرنا عندها، أن هدف القرار هو ممارسة الضغط على فرنسا والولايات المتحدة لتحسين اتفاق وقف اطلاق النار. لهذا الغرض جدير التهديد. جدير تجنيد جنود احتياط، إعداد الادوات، بل والاقتراب من الحدود. ولكن تبين أن هذا ليس مجرد تهديد.

بعد يومين، يوم الجمعة مساء، تبلورت في الامم المتحدة مسودة مشروع لوقف النار. ولكن عندها، بدل الاكتفاء بالضغوط السياسية وعدم الدخول عميقا في الوحل اللبناني — أقنع دان حلوتس وعمير بيرتس ايهود اولمرت، بانه حان الوقت لمواصلة الحرب. وفي الوقت الذي اتخذ فيه مجلس الامن قرارا بوقف النار، بدأت أربع فرق تتقدم نحو الليطاني. وقد اصطدمت بمنظومة ثقيلة من حزب الله. ولمثل هذه المعركة بالضبط استعد حزب الله مع مئات الصواريخ المضادة للدبابات، والجيش الاسرائيلي دخل في الفخ.

في حرب لبنان الاولى جرى الايضاح بأن من الصعب استخدام فرق مدرعات في منطقة جبلية. ولكن ولما كان الجيش الاسرائيلي يريد تحقيق "صورة نصر" على الليطاني فقد كان ينبغي العمل بسرعة، وكانت النتائج عسيرة: 33 قتيلا في ثلاثة ايام.

المعركة المريرة وباهظة الثمن أكثر من كل المعارك الاخرى وقعت في القطاع الاوسط، في وادي السلوكي. هناك اصطدمت الدبابات بخلايا حزب الله التي انتظرتها فوق الوادي في كمائن من النار الكثيفة لمضادات الدبابات. ويدور الحديث عن منحدر شديد على نحو خاص، لا يوجد فيه سوى مسار عبور واحد فقط، ولهذا كانت الاصابات شديدة. فقد اصيبت الدبابات بالصواريخ المضادة للدبابات، وقتل 12 جنديا، بينهم قائدا سريتين.

وقيل للجنود ان هذا سجل انهاء للحرب ويدور الحديث عن «معركة وعي» للاثبات لحزب الله بان الجيش الاسرائيلي مصمم. وهذه الكلمات وحشية على نحو خاص؛ إذ أي وعي بالضبط أراد الجيش الاسرائيلي أن يخط في قلوب رجال حزب الله؟ أن دبابة الجيش الاسرائيلي يمكنها الاحتراق؟

في تلك الايام الثلاثة من القتال (في واقع الامر، 60 ساعة) تمكن حزب الله من تحقيق انجاز واحد آخر: اسقاط مروحية؛ خمسة من رجال فريقها قتلوا. وقبل وقت قصير من الضربة كانت تحمل المروحية 30 مقاتلا؛ وكان يمكن فقط التخمين ماذا كان سيحصل لو أن المروحية اسقطت في حينه.

المنطقة التي احتلت في تلك الـ 60 ساعة من القتال المرير والباهظ الثمن يتم اخلاؤها الان على عجل إذ ليس فيها اي منفعة. ولليطاني لم يصل الجيش الاسرائيلي. والفكرة المدحوضة سلفا في ان الدخول الى اعماق المنطقة سيسمح للجيش الاسرائيلي، بعد وقف النار، بالتمشيط الى الخلف للقرى المحاصرة، وهكذا الامساك برجال حزب الله ونزع سلاحهم — لم تعد تطرح. فقد طواها النسيان تماما.

الجيش الاسرائيلي يسعى الان الى الانسحاب بسرعة عن المواقع التي استولى عليها خشية أن يصبح جنوده اهدافا ثابتة لعمليات عصابية. وهو يريد أن ينسحب الى سلسلة التلال المشرفة على الحدود الشمالية، على مسافة 2كيلومتر منها. ليس أكثر. وهو فقط ينتظر ان يقول الجيش اللبناني بانه مستعد لاخذ المسؤولية.

وعليه، فلماذا انطلق الجيش الى هذه المعركة الزائدة التي لا داعي لها؟ من أجل ماذا جرت التضحية بهذا العدد الكبير من الجنود، واصابة هذا العدد الكبير منهم أيضا؟

أحد قوانين الحرب الاكثر وحشية يقول انه عندما يتخذ فوق قرار مغلوط وساخر الجنود تحت يصبحون ابطالا. إذ أن عليهم ان يصلحوا ما خرب فوق. وبالفعل هناك قصص بطولة عديدة من تلك الـ 60 ساعة الاخيرة.

وفي هذه الاثناء يتبين أن حزب الله لا يتحلل من سلاحه، وهو يبقى في جنوب لبنان. ومنذ الان تتدفق عليه الاسلحة الجديدة من سورية. وفي الشرق الاوسط أيضا لم يتأثروا بالخطة الاسرائيلية لاعادة عنصر الردع للجيش الاسرائيلي، فقد خرج الرئيس السوري بخطاب حازم ضد اسرائيل: «سنحرر الجولان بايدينا وبتصميمنا». وفي ايران يهددون بالصواريخ على تل أبيب. ولهذا فلا ينبغي لدان حلوتس أن يذهب الى البيت بسبب قضية الاسهم. هذا صغير وهامشي جدا. عليه أن يذهب الى البيت، مع ايهود اولمرت وعمير بيرتس ايضا، بسبب الايام الثلاثة الاخيرة من القتال، والتي كانت زائدة لا داعي لها وأليمة شديدة الألم.

نحمايا شترسلر
كاتب دائم في الصحيفة
(هآرتس) ـ 2006/8/18

سلاح الجو لم يتغلب على صواريخ حماس البدائية.. وانهزم امام قوة مقاتلي حسن نصرالله

مفاجأة الحرب هي استخدام حزب الله للصواريخ المضادة للدروع... الجيش لم يستعد وخسر

■ مفاجأة الحرب الثانية في لبنان كانت السلاح المضاد للدروع والطريقة التي استخدمه بها حزب الله. هذه بالضبط كانت مفاجأة الجيش الاسرائيلي في حرب يوم الغفران في الجبهة المصرية. فقد عرفنا في حينه عن وجود الصاروخ المضاد للدبابات من طراز ساغر الروسي لدى الجيوش العربية، ولكننا لم نفهم معنى استخدام كتلة كبيرة من مثل هذه الصواريخ أو كيف سيؤثر الامر على المدرعات الاسرائيلية. في الليلة الاولى من حرب يوم الغفران فقد الجيش الاسرائيلي نحو 150 دبابة.

هذا ما حصل أيضا في الحرب مع حزب الله. كنا نعرف بالصواريخ المضادة للدبابات الحديثة التي يحوزها؛ بل ان الاستخبارات تمكنت من الحصول على واحد منها. كما فهمنا أن حزب الله يشكل خلايا مضادة للدبابات، ولكننا لم نفهم معنى الاستخدام المكثف بهذا القدر لهذا السلاح. وكانت النتيجة أن معظم اصابات الجيش الاسرائيلي في الحرب هذه المرة كانت من السلاح المضاد للدبابات — تقريبا كل اولئك الذين اصيبوا في قوات المدرعات والكثير جدا في وحدات المشاة. عدد جنود المشاة الذين قتلوا بالسلاح المضاد للدبابات أكبر من عدد جنود المشاة الذين قتلوا في المعارك في الاشتباكات المباشرة. والكثير من هؤلاء ممن دخلوا الى البيوت في القرى؛ الصاروخ اخترق الحائط واصابهم.

الصواريخ دوما فاجأت الجيش الاسرائيلي. بعد عدة أشهر من حرب الايام الستة فوجئت اسرائيل بالصاروخ البحري «ستيكس» من انتاج روسي أغرق بارجة «ايلات»؛ وغرق العشرات من ملاحيها. سلاح البحرية وسلطة تطوير الوسائل القتالية «رفائيل» تعمقا في المشكلة، والحل الذي وجدوه ساعد السلاح في الانتصار في حرب يوم الغفران رغم عشرات الصواريخ المشابهة التي اطلقت على سفنه. في حرب يوم الغفران تلقى سلاح الجو ضربة من صواريخ مختلفة مضادة للطائرات من انتاج روسي. واسقطت الصواريخ عشرات الطائرات. وعلى مدى السنين بعد ذلك بذل سلاح الجو جهدا للبحث عن ردود عملياتية. وظهرت النتيجة في حرب لبنان في عام 1982. سلاح الجو بقيادة دافيد عبري ضرب في ساعات معدودة 19 بطارية صواريخ مضادة للطائرات في البقاع اللبناني. وسورية والاتحاد السوفييتي، منتجة الصواريخ، اصيبتا بالذهول.

في حرب يوم الغفران فوجئت المدرعات بالصواريخ. ومنذئذ لم يوجد رد حقيقي على المشكلة رغم أن دبابة مركفاه منحت بقاء اعلى على قيد الحياة لطواقم الدبابات المصابة.

قبل الحرب الاخيرة فوجئت اسرائيل من عدم قدرتها ـ رغم التكنولوجيا المتقدمة التي في حوزتها ـ على التغلب على الصواريخ البدائية من طراز قسام التي يطلقها الفلسطينيون. وقبل الحرب حذرت الاستخبارات سلاح الجو من انه لن يتمكن من التغلب على كل الصواريخ. وهذا ما حصل حيال الصواريخ الابسط.

سلاح البحرية فاجأه هذه المرة صاروخ وحيد من انتاج صيني، C 802 شل فعالية بارجة العلم حنيت. وهناك أنباء عن أن الفريق الذي اطلق الصاروخ كان ايرانيا.

استخدم حزب الله سبعة صواريخ مختلفة في الحرب؛ منها أربعة من اكثر الصواريخ حداثة ـ كلها روسية بيعت الى سورية. وللصواريخ الحديثة قدرة على اختراق الفولاذ بسمك 70سم وحتى 1,2م. وبعد الاختراق يتفجر «رأس» ثانٍ في الدبابة. وتمكنت الاستخبارات من الحصول على مثل هذا الصاروخ وفهمت بان حزب الله يقيم خلايا مضادة للدبابات. غير أن القوات لم تعد نفسها كما ينبغي. وفضلا عن ذلك فقد صعدت أربع دبابات على عبوات كبيرة. ثلاث منها كانت بلا تحصين مناسب. فقدت طواقمها؛ 12 مقاتلا قتلوا. في الدبابة الرابعة كان هناك تحصين مناسب؛ من الستة مقاتلين الذين كانوا فيها قتل واحد.

اصيبت بنار مضادات الدبابات 46 دبابة و 14 مركبة مدرعة غيرها. من كل الاصابات كان هناك فقط 15 اختراق للدبابات، وخمسة لمركبة غيرها. قتل 20 شخصا، منهم 15 في الدبابات. اصيب ايضا رجلا مدرعات كان جسداهما مكشوفا. في أحد الاماكن، خلف وادي السلوكي، نجح حزب الله في كمين مضاد للدبابات: فقد أصاب 11 دبابة — 3 منها اخترقتها الصواريخ. في اثنتين قتل 7 مقاتلي مدرعات. ودبابتان توقفتا في طريقهما.

الدروس لم تستخلص حاليا، وعلينا أن نتذكر بان العدو ايضا يستخلص الدروس.

زئيف شيف
خبير أمني واستراتيجي
(هآرتس) ـ 2006/8/18

سكان قطاع غزة يتساءلون: الا تملكون الا السلاح والتدمير والخراب؟

الجيش الاسرائيلي مر من هنا: بيوت اخترقت الدبابات جدرانها .. مدارس مهدمة .. شواهد قبور محطمة .. عائلات مشردة

■ منذ نحو شهرين، وتحديدا منذ اختطاف جلعاد شليط، كان قطاع غزة مغلقا محاصرا في وجه الصحافة الاسرائيلية. ولا يعني الأمر ان جمهور الصحافيين الاسرائيليين طاف بحاجز ايرز (فقد كانت اسرائيل غارقة في حرب اخرى، وفي حياتها العادية صرفت النظر عما يجري في القطاع) لكن الجيش الاسرائيلي عمل هناك بجد ولم ترَ عين اسرائيلية عمله. في هذا الاسبوع، وكأن الامر حدث بضربة سحرية، ازيل الحظر الصحي. ينبغي أن نذكر هذا مدحا للجيش الاسرائيلي.

ان زيارة جديدة بعد عطلة قهرية تكشف ما نرى في غزة وتكشف بقدر لا يقل عن ذلك ما لا نراه. بدا وهم المخاوف الاكثر سوءا: لم نرَ دمارا جماعيا مريعا. ونصرالله ايضا غير موجود بخلاف المتوقع. لا توجد مناشير لحزب الله في الشوارع ولا احياء خربة، على الاقل لا في شمال القطاع ووسطه.

خلال ذلك شوهدت انقاض غير قليلة، بعضها لا معنى له، مثل دار الخياطة النامية لاحمد ابو الجواد، وهو خياط موضة اسرائيلية وذو «عقلية يهودية» كما يُعرف نفسه. يعيل 70 عاملا في مخيم المغازي للاجئين في قلب القطاع. وطئت الجرافات مشروع حياته بقسوة، ودفن نصف مليون شيكل كما يقول في التراب.

غزة قذرة مهملة اكثر مما كانت دائما. تلحظ علامات القطيعة الاسرائيلية والدولية في أكوام القمامة المكومة في الشوارع. لا توجد اجور، ولا يوجد كناسو شوارع. يصعب الحصول على غاز الطبخ، والكهرباء موجودة لبضع ساعات في اليوم فقط، ألم تقصف اسرائيل بتفضلها المولدات؟ مولدات الكهرباء للاغنياء والمصابيح للفقراء هي الان حاجات مطلوبة. صياد السمك يحب السمك وسلاح الجو الاسرائيلي يحب الجسور: لم يدمر الجيش الاسرائيلي اكبر الجسور في القطاع تدميرا كاملا، بل دمر ايضا جسر السكك الحديدية، الذي لم يسافر عليه قطار واحد منذ عشرات السنين.

لا تبدو غزة مهتمة بالحرب في لبنان. فالحرب ليست لها. انهم هنا أكثر انشغالا بالتخوف من المكان الذي سيغزو فيه جيش الدبابات والجرافات غدا، وكيف يتم الحصول على المال للملابس الموحدة وللحقائب استعدادا لافتتاح السنة الدراسية بعد اسبوعين وكيف سيقضون رمضان القريب أيضا. قضينا يوما في الشوارع لم نرَ الا صورة واحدة لنصرالله. في حانوت لافتات في وسط المدينة. قلت القذائف وصواريخ القسام ايضا في هذه الاثناء برغم انه اطلق في يوم الاثنين صاروخ غراد على عسقلان.

في المنطقة الصناعية في «ايرز» يعمل اولاد في هدم اللبنات الاخيرة ليستعملوها بعد ذلك. يهدمون جدارا بعد جدار، وذلك آخر الرموز للحلم الذي دفن. ما زال شمعون بيرس فقط يستطيع التحدث عن «مشروعات مشتركة» وعن «منطقة تجارة حرة»، لكن ايرز ايضا خراب وقفر.

«غزة حديقة بازاء لبنان»، يقول (م) سائق سيارة الاجرة الدائم معنا. حديقة ذاوية، يلفها حزنها ومعاناتها، في اواخر هذا الصيف الحار الفتاك. جدار مدرسة مهدوم، وعدد من شواهد القبور المحطمة في المقابر وما لا يحصى من البيوت التي اخترقت جدرانها. على إثر المقاتلين: هذا مسار دبابات جيش الدفاع وجرافاته الذي مر في بيت حانون وفي بيت لاهيا، بلدتي الشمال، ساعية وراء «مواقع اطلاق» صواريخ القسام. سيارات مسحوقة منظرها كمنظر علب مخللات مشوهة مطروحة على جانبي الشارع. انتقام الدبابة. هنا بيت عائلة المصري في بيت حانون: 13 انسانا ودبابة واحدة هدمت الصالون في طريقها. مضت قدما وتقهقرت وسحق البيت في الزاوية. لماذا، ما الذي حدث؟ يبحث 13 انسانا الان عن بيت.

انهم يجلسون بين انقاض البيت، بغير سقف وبغير أمل. يقول يوسف شفيق الاب بعبرية شاعرية: «في يوم الاثنين، الـ 17 من تموز (يوليو)، أتت هذه الدبابة الكبيرة. مرت مرة، ومرت مرتين، وفي يوم الاثنين دخلت البيت. كنا نجلس حيث نجلس الان. صحنا: قف، قف. لم يسمع. حديد يدخل في حديد. لا يسمع ولا يعرف. لا يعرف الشيوخ، ولا يعرف الاولاد، ولا يعرف النساء، يدمر فقط ويمضي، يدمر ويمضي. لم ارَ قط في حياتي انسانا كهذا. ليست فيه رحمة. لا يوجد انسان كهذا في العالم. تقهقر الى الوراء وفعل هذا على عمد. وقفت البنت كالعامود بازاء الدبابة، ترى الدبابة بعينيها». بعد ذلك هربوا.

يوسف «عامل بطالة»، بعد 15 سنة من العمل في «يفني» وفي اسدود. مروحة السقف معلقة الان وهي مشوهة ايضا. «ماذا يقولون عندكم؟ ماذا يرون عندكم؟ ماذا يقول الناس هناك؟ نحن نرى اليهود يبكون ولدا عمره سنة واحدة. لماذا لا تقولون لحكومتكم: نحن نبكي ابناءنا، وربما يبكون هم ابناءهم؟ ماذا تملكون؟ أسلاحا فقط؟ عملنا في البلاد. نحن نعرفها. لماذا يقتلون الناس داخل البيت؟ عائلة المصري داخل البيت. 6 أولاد و 5 بنات والاب والام، كلنا داخل البيت». الشارع كله زرع بضربات الدبابات والجرافات، لا يوجد جدار واحد تقريبا لم يتضرر. يكفي الشارع لتمر دبابة مركفاه من الطراز 3 لكن لا أحد يهمه ذلك.

وماذا حدث في بيت شرافة في بيت لاهيا المجاورة؟ 4 شقق لاربعة اخوة: خالد، وابراهيم، ونافذ ومحمد وابنائهم. قرابة 50 انسانا. مبنى مشترك جميل نسبيا أصابه صاروخ أو قنبلة سقطت عليه من طائرة في منتصف الليل. المبنى جميعه مدمر، مع ما فيه، واضطر ساكنوه الى اخلائه ومضوا الى اقربائهم.

يتحدث أبناء العائلة بأنهم حصلوا في الاسبوع الماضي في ليل السابع من آب (اغسطس) على تحذير بالهاتف المحمول من الجيش الاسرائيلي 10 دقائق للاخلاء. 10 دقائق للقصف في منتصف الليل. البيت الكبير مهدوم الان، مع بلاطه الازرق والبني في غرف مراحيضه. تضررت أيضا بيوت الجيران من القصف. يقول ناطق الجيش الاسرائيلي: «في 8/7 هوجم بيت محمد شرافة في العطاطرة، الذي استعمل بحسب معلومات استخبارية عند الجيش الاسرائيلي مخزنا لوسائل قتالية تستعملها المنظمات الارهابية. ليعود الجيش الاسرائيلي ويحذر السكان الفلسطينيين، من أجل أمن السكان الشخصي، ان يمتنعوا من البقاء في بيوتهم التي تستعملها المنظمات الارهابية ملاذا. يتم التحذير بوسائل شتى: منشورات، ومحادثات مع جهات التنسيق والربط مع الجهات الموازية الفلسطينية، ووسائل الاعلام ورسائل هاتفية محددة. يحرص الجيش الاسرائيلي على أن توجد مهلة زمنية معقولة بين موعد اعطاء التحذير وموعد الهجوم تمكن السكان من الخروج والابتعاد من المنطقة الخطرة».

الاشارات الضوئية معطلة، لا توجد كهرباء. يحل رجال شرطة المرور الذين لا يتلقون رواتبهم محل الاشارات. في الطريق الى الجنوب في طريق صلاح الدين ننزل واديا للالتفاف على الجسر الاسمنتي الصلب الذي انهار. ما زال يمكن اجتيازه في الصيف، ولكن ماذا سيكون في الشتاء؟ لماذا قصفوه؟ أعد جسرك للشتاء. ولماذا قصفوا جسر القطار ايضا؟

انه كوخ

بيت عائلة مبروك في مخيم اللاجئين المغازي. هل هو بيت؟ ليس بالضبط. انه كوخ. أبناء العائلة سمر ويبدو المنظر كأنما هو في منطقة افريقية اصابتها كارثة. مخيم لاجئين مغروس في الرمال وبيت مبروك مهدوم. وهو أيضا بيت جانبي، يقع ناحية من المخيم عند حدود كرم الزيتون، وربما هدم بسبب سوء حظه ذاك.

تقول ام العائلة فاطمة عن احداث يوم الاربعاء، 19 تموز (يوليو): «كنا داخل البيت وسمعنا اصوات الدبابات من بين اشجار الزيتون. اختبأنا في الغرفة الثانية واقتربت الجرافة. ابتدأنا نصرخ، لكي يسمع صوت الناس في البيت. أخذنا قطعة قماش بيضاء ليرى أننا في البيت. أخرجونا الى الخارج ورأينا أن الجميع يجرون نحو المخيم. اختبأنا عند الجيران. عدنا يوم الجمعة ووجدنا البيت مهدوما. لا خزانة ولا سرير، ولا تلفاز، ولا غسالة. الثلاجة على الارض». صور عرس على جدار غرفة النوم، آخر ما تبقى. الى أين سيذهبون؟ ما خطيئتهم؟»

ويصبح الصعب سهلا: هنا كان مصنع نسيج أحمد عبد الجواد، في ظاهر مخيم المغازي. ما تزال العلامات التجارية لـ«مادنز كولكشن» و «يو.بي.دو» و«ساكس» و«زوم» و«كوئي»، وهي أفضل موضات الشارع، ما تزال ترفرف في الرمال. لم يبقَ ذكر للمصنع. هدم كل ما كان وابعدت جميع الانقاض. المجموعة 2006: اصبحت عشرات الات الخياطة كأن لم تكن وهي مصدر معيشة لـ70 عاملا وطأتها الجرافات الاسرائيلية. يحاول الفلاح مجد سعيد الان اصلاح خطوط الماء في البيارات التي اقتلعها الجيش الاسرائيلي، وسيغرس بعد قليل اشجار الليمون والجريب فروت من جديد. لم يهدموا هنا بسبب صواريخ القسام بل ليكون شعب اسرائيل مرتاحا، يقول الفلاح الذي يرتدي القميص ذا الكم القصير الابيض وقد كتب عليه «غزة اليوم، والضفة والقدس غدا».

يخرج صاحب دار الخياطة عبد الجواد من البيت الكبير امامنا، وهو من ثلاث طبقات مبلط ببلاط بني براق. الدراجات الهوائية للاولاد عند مقدمة البيت محطمة وعلى النوافذ المهشمة ستار أسود من القماش. انه في الـ43، يرتدي قميصا أزرق من آخر طراز، ويبدو اسرائيليا جدا مع حذاء زحاف من البلاستيك، يدخن «لكي ستررايك»، ويتحدث بعبرية عامية. قبل 20 سنة، كعامل في دار خياطة، عرف تكفة صالح من حولون. لقد أدار بنجاح دار خياطة صالح في المنطقة الصناعية ايرز، وعندما اغلق المصنع هناك، مثل جميع المصانع المشتركة، اقترحت عليه صالح أخذ الالات واقامة دار خياطة في غزة. أنشأ عبدالجواد دار خياطة صغيرة في مخيمه وقبل سنة بالضبط، بعد أن «جرى العمل» كما قال بلغته، اقام بجانب البيارة المصنع الجديد، 500 متر مربع، و150 الة خياطة، ونوبتي عمل، آخر طراز. «خطت لجميع الشركات في البلاد. خطنا ما تحب الفتيات الاسرائيليات. وعندها أتت الكارثة الكبيرة».

واضاف: في 19 تموز (يوليو) في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل دخلت الدبابات والجرافات المخيم تحت غطاء اطلاق النار. اختبأ عبدالجواد وعائلته، زوجة وثمانية اولاد، تحت الحوض في غرفة الاستحمام. ما يزال الاولاد مذعورين منذ ذلك الحين. كنا تحت النار حتى الساعة السابعة صباحا. بعد ذلك رأيت ان من الخطر البقاء تحت الحوض، قلت لزوجتي وللاولاد تعالوا نختبىء في غرفة الدرج. سمعت مرة من تكفة أن أأمن محل هو وراء الدرج. منطقة محمية. تبين أنها لم تكن محمية ايضا وصعدنا الى الاعلى، الى الطبقة الثانية.

في السابعة صباحا اتصلت بتكفة. قلت لها: انهم يهدمون مصلحتنا. قالت لي: يا احمد، ماذا استطيع أن افعل؟ في الساعة العاشرة نظرت من النافذة ورأيت الجرافة قد ابتدأت تسقط سقف المصلحة. عندها أغمي علي. في تلك اللحظة فقدت وعيي دقيقة أو اثنتين. صبت زوجتي الماء عليّ وابتدأ الاولاد يبكون. وبدل أن اشجعهم وأقويهم، ابتدأوا يشجعونني ويقوونني. بعد 10 دقائق عاد الي رشدي. استمر هذا الوضع حتى الرابعة بعد الظهر. رأيت مائة دبابة بلا مبالغة. كانت المنطقة كلها مليئة بالدبابات.

كان عدد من الاولاد اعتقدوا أن هذه لعبة وابتدأوا يرمون الدبابات بالحجارة. قلت لزوجتي في تلك اللحظة: فقدنا كل شيء وما فكرت فيه تحقق. اقتربت الدبابات من البيت وهدمت الجرافات الجدار. هدموا المبنى الذي كان لي مع ماعز وحمام في الساحة، على الماعز والحمام في داخله. ابتدأ البيت يرقص. ابتدأت أنا والاولاد نرقص مع البيت. قلت لهم: قُضي الامر. قُضيت قصتنا. يا اولاد، انقضت قصتنا. كونوا أقوياء، الله معنا. ابتدأوا يبكون جميعا. لا يمكن وصف الوضع في تلك اللحظة.

استمر هذا الوضع ربع ساعة الى أن سكن كل شيء. خرجت جارة تحمل علما أبيض ورأينا ذلك وخرجنا نحن ايضا. في تلك الاثناء رأيت الدبابة تطأ مصلحتي. لقد سحقوها حقا. هربت الى الجيران وانتهت القصة.

لم يطلق من هذه المنطقة اي صاروخ قسام. كان هذا أهدأ مكان في المخيم. كان مكانا لقضاء أوقات الفراغ، بسبب الخضرة والاشجار والهدوء. بعد ذلك قال لي الجيران ان الجنود طرقوا الباب بعد أن خرجنا وفجروا الباب ودخلوا. ما الذي لم يفعلوه في البيت؟ سلطة. النعال مع الوسخ كله، مزقوا الارائك. وهتكوا الستائر. وكسروا جميع ما للاولاد، والى ذلك تغوطوا على الملابس. هذا عمل الجيش، ولكن لماذا يهدمون؟ ثم احتلوا البيت من يوم الخميس الى يوم الجمعة».

ابناء غزة يفتشون في الحطام الذي خلفته عملية جوية اسرائيلية على بيت في جنوب القطاع

دمروا كل شيء وطرحوني في القمامة

«أنا اعيش العقلية الاسرائيلية. مع التلفاز، ومع الهاتف الى اسرائيل طول الوقت، ومع الناس الذين أعمل معهم. كنت في عقليتي يهوديا اكثر من اليهود. والى الان. لن يغير هذا رأيي. لكنني ارتقب ان تنظر دولة اسرائيل اليّ بنزاهة. والا يطرحوني في القمامة. مؤسف، مؤسف أن تخسر شابا مثلي عمل طول السنين لانتاج اشياء جميلة لدولة اسرائيل. منذ 20 سنة وأنا ابني عملي. وما ان فتحت عيني حتى دمروا لي كل شيء بضربة واحدة. بغير كلام. وبغير بلاغ. قال لي الجيران ان الجنود فتحوا المصلحة ورأوا أنه توجد الات خياطة وبضاعة مرزومة لاسرائيل ودمروا المنطقة كلها وعادوا اليها. ألم يفكروا ماذا سيحدث للناس؟ لرب العمل؟ للعمال؟ للناس في اسرائيل الذين اعتمدوا عليّ الموسم كله؟ ان الجيش والشاباك يعرفان كل انسان هنا ويعرفان ماذا يأكل في فطوره وماذا يأكل في عشائه. الا يعرفونني؟ الا يعرفون ما أفعل وما لا أفعله؟ لا يمكن أن يكون هذا مشاعا. لكن كان مشاعا». يقول ناطق الجيش الاسرائيلي: «في 7/19 عمل الجيش الاسرائيلي في مواجهة بنى ارهابية تحتية تعمل من داخل مخيم اللاجئين المغازي وتستعمل سكانه درعا بشرية. في أثناء العملية استعمل الجيش الاسرائيلي أدوات ثقيلة بهدف الدفاع عن القوات وللعمل وقت الحاجة في هدم المباني التي تستعملها البنى التحتية للارهاب. ربما حدث إضرار غير مقصود بالمباني في أثناء حركة الالات في منطقة بناء مزدحم».

إضرار غير مقصود؟ في أثناء التحرك؟ منطقة بناء مزدحمة؟ «كان مكانا جميلا»، يتنهد عبدالجواد، ويرفع ملصقة اخرى من «مادنز كولكشن» عن الرمال.

جدعون ليفي
كاتب متخصص في مجال حقوق الانسان
ملحق «هآرتس» ـ 2006/8/18

نقد غير مباشر للموساد.. لم تستطع ادخال عملاء للبنان

الاستخبارات العسكرية تزعم انها تعرف كل شيء عن حزب الله.. والجنود فوجئوا بحصانة دفاعات المقاتلين

■ في باطن الارض حفر النفق الحصين. وكان مغطى بطبقة من الاسمنت والمزروعات الخضراء، تماما كما غطيت كل الانفاق والمخابئ التي اقامها حزب الله. جنود الجيش الاسرائيلي الذين اقتربوا من الهدف المحصن تلقوا تعليمات دقيقة حول كيفية الدخول الى الداخل. لا هذا لم يحدث في جنوب لبنان. نموذج النفق بني في قاعدة تدريبات في اسرائيل وفقا لمعلومات استخبارية نوعية ودقيقة تم الحصول عليها حول حزب الله. الاكثر من ذلك — قبل اندلاع الحرب بشهر تمكنت وحدات خاصة من الجيش الاسرائيلي من التدرب في المكان.

الجهات الاستخبارية تدعي انها عرفت جيدا ماذا يحدث في جنوب لبنان. عرفوا بأمر التحصينات وبالانفاق الطبيعية التي حولت الى مخابئ وعرفوا بوجود الصواريخ المضادة للدبابات وعلى قدرة حزب الله على الصمود. ولكن بالرغم من كل ذلك دخل الجنود للميدان واصيبوا بالذهول والصدمة.

في شعبة الاستخبارات العسكرية «امان» يقولون انهم حذروا سلفا من وجود «محميات طبيعية» وهي المواقع العسكرية التي اقامها حزب الله.

عمليات مسح استخبارية كبيرة وسرية جدا اعدت حول المسألة. ولكن المقاتلين الذين لم يقرأوا المواد السرية بصورة طبيعية توقعوا بينهم وبين أنفسهم ايجاد خيمة وعدد من الراجمات. عندما شاهدوا بوابة فولاذية تفتح من الارض لتتكشف عن فتحة تطل على نفق اسمنتي فوجئوا جدا.

المنتقدون يدعون ان الاستخبارات الكثيرة التي جمعت خلال السنوات الست الاخيرة لم تصل بصورة كافية الى الميدان على مستوى المقاتلين المباشرين. الا ان شعبة الاستخبارات العسكرية ترفض الانتقاد وتقول ان هذه ليست مهمتها. وبالرغم من ذلك لم يكن لدى الاستخبارات انذار محدد حول عملية الثاني عشر من تموز (يوليو) التي اشعلت كل الجبهة الشمالية. بعض الاطراف في الجهاز الامني تقول إن هذه كانت محاولة الاختطاف الخامسة خلال سنة. «هذا الواقع الاستخباري»، قال ضابط كبير سابق في جهاز جمع المعلومات في شعبة الاستخبارات العسكرية «لا يكفي دائما تحديد المصادر في الوقت الملائم فليس من الممكن الوصول الى كل شيء. هناك فجوات تكنولوجية. والعالم الاستخباري ليس مثاليا وكاملا».

«في المستوى العام، لم يفاجئنا حزب الله»، قال مسؤول رفيع في أمان، «لم تكن مركبات كان فيها فرق بين المعلومات والواقع. قلنا إن الفكرة الاساسية لحزب الله هي تنفيذ اطلاق النار على العمق الاسرائيلي، وفي الاساس على اهداف اسرائيلية، وقبل وفي اثناء عملية برية اسرائيلية، وهذا ما حدث».

«عرفنا أن وحدة حزب الله جنوبي الليطاني يجري عليها تحول لتصبح قوة تستعمل وسائل قتالية سورية، لا ايرانية فقط. عرفنا انهم سيستعملون صواريخ 300ملم سورية»، بين، «ايضا المواقع الطبيعية رسمناها بخطوط واضحة جدا. يجب أن نفهم ان البنية تحت الارض تحد كبير لقوة جوية. يوجد فرق بين الملاجئ المحصنة جنوب لبنان وتلك في بيروت. كانت المشكلة في الجنوب الانتشار الواسع جدا لهذه الملاجئ المحصنة. وكان الحديث في بيروت عن ملاجئ محصنة قوية جدا، وكانت هناك كما يبدو مشكلة السلاح الذي لم ينجح في الاختراق».

«النقطة الوحيدة التي فوجئنا فيها كانت اطلاق الصاروخ الايراني نحو البارجة الحربية»، قال الضابط الرفيع. تقول جهات استخبارية انه قد كانت معلومات عن أن الصاروخ قد وصل سورية، لكن لم تكن معلومات عن انه نقل ايضا الى حزب الله. ضابط رفيع سابق في الاستخبارات قال، «اذا اردنا أن نعرف كل شيء عن موضوعات مثل صاروخ ارض — بحر، فسيأتي هذا على حساب جمع معلومات استخبارية عن موضوعات مثل الذرة الايرانية. توجد كمية محدودة من الموارد. لا يمكن الاتيان بمعلومات عن كل شيء».

لكن الاستخبارات عرفت بالذات عن صواريخ مضادة للدبابات المتقدمة عن حزب الله، التي سببت اكثر الخسائر بين الجنود. جهات تجميع المعلومات الاستخبارية نقلت معلومات عن أن سورية نقلت الى حزب الله صواريخ كورنت ذات رأس منفجر مضاعف، قادرة على اختراق الدبابات الاسرائيلية. «قمنا بكل جهد من أجل نشر هذا التهديد»، قال الضابط الرفيع، «لقد تم استيعاب هذا الامر على المستويات الدنيا. عرف كل واحد من فريق الدبابة ما هو الكورنت وما هي قدرته».

ولكن في هذه الحالة ايضا، لم تترجم المعلومات الاستخبارية النوعية ترجمة جيدة في الميدان. «عدم وعي استخباري» عرف ذلك ضابط رفيع في الماضي. ربما عرفوا أن الصواريخ هناك، لكنهم لم يستوعبوا معنى ذلك. تقول جهات في الجيش الاسرائيلي انها عرفت على نحو عام أنه توجد صواريخ كورنت في الميدان. لكنها لم تتوقع أن تستعمل، او لم تتوقع أن تستعمل بكمية كبيرة يقينا. بعد نحو من ثلاثة ايام من القتال البري فقط، عندما تبين أن حزب الله يستعمل الكورنت استعمالا منهجيا، طورت نظرية قتالية للدفاع عن الدبابات.

ثمّ نقد آخر يوجه في الجهاز الامن الى الاستخبارات عن نفاد بنك الاهداف في اثناء ايام القصف المعدودة. كان الاحساس ان كمية الاهداف لم تلائم قوة النار. اي أن سلاح الجو والمدافع كانا يملكان نارا كثيفة، ولكن لم يكن ما يكفي من الاهداف لتوجيه هذه النار اليها.

«هذا وضع تقليدي لمنظمة عصابات بغير وجود حقيقي في الميدان»، بين ضابط الاستخبار الرفيع. «كان أحد أهداف العملية تعويق قدرات حزب الله الاستراتيجية. من اجل ذلك حققنا كنوزا استخبارية جمعت لسنين، هاجمنا مخازن ومجمعات وهاجمنا الضاحية. استنفد هذا بنك الاهداف تقريبا. في أثناء القتال حاولنا انتاج اهداف جديدة، ونجحنا في جزء من الحالات». «في مراحل متقدمة من الحرب قلنا إن الطريق الصحيح لحل تهديد الصواريخ هو بعملية برية«، قال الضابط الرفيع. «لست على يقين من أن الجمهور الاسرائيلي كان ناضجا لعملية كهذه في ايام القتال الاولى. على اية حال، كان يوجد حوار مفتوح في الموضوع في هيئة القيادة العامة. لم يكن يجب علينا ان نقول انه يوجد خيار لعملية كهذه. كان ذلك واضحا».

بموازاة تأييد العملية البرية، كان لأمان تصور، عرض على الجيش ايضا، فحواه ان الضغط الجوي الحقيقي والفعلي للبنان سيفضي الى انطواء حزب الله. عدم استعداد حزب الله للمرونة، برغم قصف مطار بيروت، وكل جسر ممكن والضاحية، لم يعد في امان انهيارا لتقديراتهم. «تصورنا لم يتم فحصه» قال الضابط الرفيع، «لم نصب في الحقيقة بنى تحتية استراتيجية لبنانية، بل منشآت بنية تحتية تتصل على نحو بالنشاط التنفيذي لحزب الله».

في مباحثة بين المستوى السياسي والمستوى العسكري تلقى الجيش الاسرائيلي أمرا بأن يضرب اهدافا تضعف حزب الله من أجل تمكين «قوى جديدة» — اي حكومة لبنان — من الصعود ومواجهة حزب الله بعملها. أوصوا في امان بـ«عملية متزنة» كما عرفوها، تضر ايضا بمصالح لبنانية. كما قيل آنفا، كان التقدير ان عملية كهذه «ستزيد من دافعية» حكومة لبنان وستفضي الى التضييق على حزب الله. «بحسب ما أفهم، لم تكن عندنا معلومات استخبارية جيدة في المستوى الاستراتيجي»، قال احد المسؤولين الكبار في الوحدة 8200 للتنصت في أمان: «في كل ما يتصل بنيات حزب الله، ونصرالله، وقدرتنا على الثبات، وخططهم بعيدة الامد، لم تكن لنا معلومات استخبارية عميقة متغلغلة. ولكن اذا كان يعتقد أحد أن الجهة الاستخبارية قادرة على التغلغل في عمق منظمة عصابات مع وعي أمني فصامي وقدرة مدهشة على استخراج الدروس، فانه يخطئ في الاوهام».

وهكذا، على امتداد شهر القتال لم ينجح الجيش الاسرائيلي في المس بنصرالله او بقيادة حزب الله. الاستخبارات، التي نجحت في تحديد مواقع جميع القيادة الارهابية في غزة تقريبا، لم تنجح في اختراق أمن حزب الله. «كان لدينا مفهوم عام عن موقع نصرالله»، قال الضابط الرفيع، «لكننا لم ننجح في قتله». معنى هذا القول أن سلاح الجو في عدد من الحالات قد قصف اهدافا في بيروت من غير ان يعرف مَن من قيادة حزب الله يمكث في المكان، اذا وجد أصلا.

مَن الجهة الثانية، القادة في الميدان، اولئك الذين حاربوا في لبنان، يعيشون في احساس ان الاستخبارات التكتيكية بالذات لم تكن في أفضل حالاتها. في معركة بنت جبيل، مثلا، الذي قتل فيها ثمانية من جنود جولاني، دخلت القوة البلدة من غير أن تعرف اين توجد قيادات حزب ا لله. ابتدأت المعركة الجديدة بعد أن واجهت القوة خطأ قيادة اختبأ فيها عشرات المقاتلين.

ولكن رغم شعور المستويات الميدانية، فانهم في الاستخبارات على قناعة بأنه «في المستوى التكتيكي كان اسهاما جيدا جدا»، بين رجل تجميع معلومات رفيع انه «في اثناء المعارك، عندما كانت توجد حاجة الى اهباط مروحيات لتخليص المصابين تحت النار، كانت الامر ممكنا فقط بفضل الاستخبارات التي حصل عليها في الوقت المطلوب. في بعض الحالات ابلغ الطيارون اين يهبطون بالضبط».

في داخل الجماعة الاستخبارية يحاولون الحفاظ على الرسمية وعدم طرح المسؤولية على جهاز الاستخبارات هذا او ذاك. ولكن برغم ذلك، ابتدأ ينجم نقد ، ما زال في هذه الاثناء يوجه همسا. جزء من الجهات، على سبيل المثال، تقتل واحدة من وحدات الاستخبارات التكنولوجية التي «تعيش على أمجاد الماضي ولا تزود بالبضاعة».

يوجه نقد غير مباشر الى الموساد، الذي لا يجند ما يكفي من العملاء داخل حزب الله. «كانت الجماعة الاستخبارية الاسرائيلية تستطيع حشد قدر أكبر من المعلومات الذي يحصل عليها العملاء اكثر مما تملك»، قالت جهة استخبارية. ومع ذلك، ليس الحديث عن مفاجأة. في السنين الثلاث الاخيرة بين الموساد جيدا انه ليس مسؤولا بعد عن اعطاء تحذيرات استراتيجية عن نية دولة عدو الخروج الى الحرب أو السلام. قالوا في الموساد ان هذا يفترض أن يكون مجال أمان. وقف من وراء القرار رئيس الموساد مئير دغان، الذي حدد رتب أوليات واضحة للموساد. يجمع أكثر المعلومات الاستخبارية من الدول الهدف هذه فقط من أجل عمليات الموساد.

«عندنا شغل الجميع أنفسهم بالفلسطينيين فقط»، قال ضابط في 8200. «بحثوا طول الوقت عن المقاتل مع الحزام الناسف». يبين أحد قادة 8200 في الماضي ان «الانشغال بلبنان كان عاليا جدا، ولكن توجد قيود موارد تضعف كل نظام التجميع. قلصت 8200. اقيل اناس ثابتون وقلصوا الاطر. للوحدة الاف من رجال الاحتياط. تمكن الموازنة من دعوة كل واحد منهم يوما ونصف يوم. لو وجد قدر أكبر من الموارد، لوجدت معلومات استخبارية اكثر عن لبنان».

برغم الاخفاقات فان الاحساس داخل الجهاز هو أن العمل الاستخباري — قبل الحرب وفي اثنائها — تم كما يجب، حتى لو لم يكن على نحو كامل. ومع كل ذلك يعلم الجميع أن الاستخبارات ستكون أسهل مرشح لتلقي نصف النقد. «كيس الضرب»، كما عرف رئيس امان الحالي عاموس يدلين عمله. يوجد الان في داخل امان جدل هل سيحاولون في لجنة التحقيق، اذا ما اقيمت، طرح المسؤولية على الاستخبارات. «اذا القى الجيش المشكلة على الاستخبارات، فانهم لن يعثروا على جذور الصديد»، يقول ضابط رفيع سابق. «كشفنا عن اخفاقات جوهرية في عمل الجهاز المدني — العسكري. يجب التحقق في هذه الموضوعات بجدية وعدم الاكتفاء بتوجيه التهم الى الاستخبارات، لكي نكون أحسن استعدادا مما كنا هذه المرة حينما يحين وقت العمل».

«نحن نستعد لدراسة الاحداث والتحقيق فيها»، يوجز الضابط الرفيع في امان ويعترف قائلا: «احد الاسئلة هو هل يوجد سبيل لتحسين الوصل بين الاستخبارات وبين القدرات التنفيذية».

عميت كوهين
(معاريف) ـ 2006/18